

ولقد خص لبروزو كثيرين من فرضويي شيكاغو وسواهم فزع ان حالة
 الفرضوي المجاهد حالة عجز وسقام وما ظهروه بمظهر الجسارة والمفاودة سوى
 من « وثبات » الضعفاء المنهورين . فمهم البتة ان بالامراض المزمنة . ومنهم ذوو
 المريكة الخسنة الرعمة التي يمتاس عليها التطلع بطبائع الوسط . ومنهم ذوو الجلود
 الاخلاقي غير الشاعرين بهمس الضمير وديب الوجدان . ومنهم الجاني حياً بالجناية
 كالفرضوي الالماني موست الذي يرى فيه لبروزو المذكور اخط اشكال الجناة .
 ومنهم اهل الباطنية والروحانية واهل الوحي والرفة مثل باكونين وكروبتكن .
 ومنهم القدان المقنع بانه انا يصحى بنفسه خدمة ليني الانسان
 وليفسحوا مجال الدخول الى الفردوس الموعود تراهم يكردمون الجثث على
 الجثث ويحندلون الصريع فوق الصريع
 ان الفرضوية . مذهب محزون مروّع وهو على حداثة نشأته ذو تاريخ
 مفرح بالدماء
 (م)

مدينة أوروبا وحكوماتها

لنفرض ان الام بظرتها شريرة فاذا تركت لنفسها بدون وازع يزع او رادع
 يردع اكل الناس بعضهم بعضاً . وانها جاهلة فاذا تركت لنفسها لم تعرف الخير من
 الشر او الحسن من القبيح او النافع من الضار . وانها غاملة فاذا تركت لنفسها
 اطمت الى التمرد بل رجعت الى الوراء وصارت الى التذني والانحطاط ورضيت
 من دهرها بالنصيب الاخص . ولنفرض ان الحكومات ليست من الامم بل هي من
 سلالة الالفة كما كان يزعم القدماء بل ان كثيرين من مؤلفي هذا العصر ومنهم امبراطور
 المانيا كانوا يقولون انهم تناولوا التاج من الله وآتهم ظل الله على الارض . ولنفرض
 ان هذه الحكومات انما هبطت الى الارض لتمتع الشر وتدعو الى الخير وتقوم
 الامم في سبيل التقدم والارتقاء . اذا فرضنا كل ذلك فكم يجب ان يتعاقب على
 الانسانية من الاجيال حتى تدجن وتتأس وتعلم وتهذب وتصبح قادرة على ان
 تفكر بعقولها وتنظر بعيونها وتسمع باذانها وتنتقل بنفسها وتمشي في سبيلها
 بدون وصاية احد

كل قاصر لا بد ان يدرك يوماً من الايام من الرشد فيخرج من ولاية وصيه. اما ان لامة من ام هذه الارض ان تدرك سن الرشد. اذا كان الوصي للقاصر دماغه المنكر وعينه الناظرة واذنه السامعة ويده العاملة وقدمه الساعية قتي يترن هذا القاصر على ان يكون رجلاً. لا يستغني القاصر عن عناية وصيه حين يكون طفلاً ولكن اذا ترعرع هذا الطفل وارتفع قليلا عن سن الحداثة فيجب ان يترك لنفسه شيئاً فشيئاً وان تقل العناية به تدريجاً ليتسنى له ان يترن على الحياة والا فقد يبلغ هذا الطفل مبالغ الرجال وهو لا يزال بمنزلة الاطفال يقولون وكنا نعتقد ان اوربا قد بلغت الذروة العليا من الرقي والكمال وانها المثل الاعلى لكل ام الارض. اذا صح ذلك افما كان يجب ان تكون ام اوربا اقل الام حاجة الى حكومات تكون منها بمنزلة الوصي من القاصر وان يكون تدخل حكوماتها في شؤونها محدوداً وان يقل شيئاً فشيئاً الى ان يستغني عن تلك الحكومات او تصبح اعضاء اثرية لا عمل لها. ولكن الذي نراه ان حكومات اوربا اكثر الحكومات تدخلاً في شؤون امها ولا تزيد الايام الا توسعاً في التحكم بامها والتصرف بشؤونها ومراقبتها كأن ام اوربا على ما تنصيه من الرقي والتقدم لا تزال في نظر حكوماتها قاصرة لا غنى لها عن وصي يدير امها بل لا تزال شريرة جاهلة خاملة لا يؤمن شرها ولا يرجى خيرها فلا بد لها من حكومة منظمة قوية تتدخل في كل شيء وتعرض لكل شيء وتقودها الى الجنة بالاسل مما يصح معه القول ان مدنية اوربا مدنية حكومات لا مدنية ام وبسبارة اخرى انها مدنية وسالط لا مدنية سيادى. ومضى ذلك اذا انتشر الامن في اوربا فليس ذلك لان الاوربيين يحافظون على الامن من تلقاء انفسهم ولكن لان هناك حكومات تمنع الاخلال بالامن. واذا انتشر العدل في اوربا فليس لان الاوربيين ميالون الى العدل من تلقاء انفسهم ولكن لان هناك حكومات تمنعهم من الخروج الى العدل

يقولون لا رشوة في بلادنا لان عمال الحكومة يتقاضون اجراً كبيراً لا يحتاجون معه الى اخذ رشوات. اي فضل لكم في ذلك؟ اذا امتنع العامل عن الرشوة فيجب ان يكون ذلك عن مبدأ لا لان اجرة يكفيه والا ففى اول فرسة ينسر او يتوهم او يوسوس له الشيطان الرجيم ان اجرة لا يكفيه لا يتأخر عن

ان يعد بدءاً الى ارضوة لا يكون ارقى رقيماً الا اذا كان عن مبدأ والياً فمظاهر
عمود وباطن مشرقة. الوسائط قد تضمن الامن والعدل ولكن لا تجعل الامن
والعدل خلقة في النفوس. اذا كانت أوروبا كذلك الى اليوم وحكوماتها ارقى انواع
الحكومات كما تدعي فهذا يصح ان يقال انها المثل الاعلى في المدنية والرقى
نحن بين امرين

اما ان نسلّم ان حكومات أوروبا على شكلها الحاضر لا تصلح ان تكون اداة
اصلاح واما ان نعترف ان أوروبا وقد تماقت عليها الاجيال وحكوماتها ارقى انواع
الحكومات انها غير قابلة للاصلاح فيقال ان ام أوروبا سيئة الخلق رديئة الفطرة
شرهة شرسة محتالة كذابة الى آخر ما هنالك من الصفات مما اضطر الحكومات
ان يكون لها جيش جرار لجلب من البوليس المنظم المدرب من فرسان ومشاة
يتجول في الشوارع ليل نهار لكل خمسين متراً بوليسان ولا يدخل في ذلك
الجيش الا كل طرّال عملاق متين الاعصاب موثق الآراب عدهاء وثواب
مصارع ملاكم مياطش يحمن استعمال السلاح وتسلق الجبال والسواري لتبغ الشر
وهيات ان يمنع. وانها لا تعرف الشروط الصحية فجعلت الحكومة لتتخذ
التدابير والاحتياطات اللازمة لمنع تفشي الامراض والابوثة لتكنس الطرق وتعلق
الاعلانات في كل محل. لا تبصق. لا تدخن. اقبل الباب. اتق القمل والبراغيث
والبعوض. لا تشرب الماء غير مصفى. لا تأكل الفجل غير مغسول. وانها فاسدة
الذوق لا تعرف التنظيم والترتيب فجعلت الحكومة لتقوم ذوقها وتخطط لها
المدن والطرق وتضع لها رسوماً للابنية. وانها لا تعرف قيسة العلم فجعلت الحكومة
لتؤسس لها المدارس وتجيرها على دفع رسوماً وارسال اولادها اليها. بل جعلت
الحكومة لتراقب الاوزان والمقاييس والمكاييل وتمنع العربات من الازدحام في
الطرق. والاطباء والصيدالة الدجابين من غش الناس. والآباء من اهتمام حقوق
ابنائهم والايخ من اغتصاب حق اخيه والحجار من الاعتداء على جاره. والقوي من
اكل الضعيف. والغني من الاستبداد بالفقير. بل جعلت الحكومة لتراقب
المطبوعات ومعاهد التثيل والصور المتحركة والتماثيل في شايك المخازن ومحال
القهوة والحانات والمطاعم والمعامل. بل بلغ عدم ثقة الحكومات بانها
تعلق الاعلاقات في المرتفعات والمنحدرات واقواد انطرق ومعاظنها. فمهل انتبه

للخطر . كأنها تقول لكم عيون ولا تبصر . بل انها تذكى العيون والجواميس
يحصوا على الناس اتقائهم . بل الحكومة نفسها صارت الى حال لا تتق فيها
بنفسها بنفسها فاقامت المفتشين من بعثها على بعض

كل انسان شريف وحر وصادق ومفكر وسامع ومبصر الا امام الحكومة .
وقد الف الناس ذلك فلم يعودوا يعاونون به أو يتأثرون له . اذا قال الواحد
لثاني لا تبص عددا اهانة كبيرة واما الحكومات فانها تعلق الاعلانات بذلك في
الترامات والسكك الحديدية بل في كل محل كأنها تقول للجميع « كلكم بصاقون »
فيقرأها الكبير والصغير والمتعلم والجاهل فيسبح كل واحد الالهة بجلده ويسكت .
اذا قلت لاصغر تاجر ارنى اوزانك او مقاييسك او مكاييلك عد ذلك منك اكبر
اهانة له واما الحكومة فتدخل المخازن والمحارنيت والدكاكين وتحصن كل شيء
ولا يستنكر ذلك احد . اذا قلت لاختك او ولدك لا تقرأ الكتاب الفلاني عدت
ذلك منك تعدياً على حرية واستصغاراً لثأته ولكن الحكومة تفتش المطبوعات
فتجيز او تمنع منها ما تريد والامة صاغرة لا تبدي ولا تعبد . او اذا قلت لجارك
تم في الساعة العاشرة زجرك بل ربما طلبك للبراز واما الحكومات فتصدر ما تشاء
من الاوامر والنواهي فلا تلتى معارضا . لا تستطيع ان تقول لاحد ما اسمك وم
عمرك وما صناعتك وما مذهبك ولكن الحكومات لا تدع احداً يدخل بلادها
او يخرج منها ولو من ابناءها الا بعد ان يجيب على كل تلك الاسئلة . تركب
الترام او السكة الحديدية فلا تلبث ان يمحيك المفتش ويسألك عن تذكرتك كأنه
يقول لك انك موضع شبهة فبرزها له فيطلبها بالتمزيق او النقب كأنه يقول لك
انا نخشى ان تستعملها مرة ثانية فتسمح تلك الالهة بجلدك الى غير ذلك مما
لا يسعنا استقصاؤه

اذا كان ذلك كذلك افلا يصح ان يقال ان كل امة تكون لها حكومة تسجل
على نفسها الانحطاط وان كل حكومة تكون امها منحطة كان ذلك دليلاً على انها
لا تستطيع الاصلاح او انها لا تريد . وان كل مدينة قاعة على الوسائط لا
المبادئ لمدينة فارغة لا تصلح ان تكون المثل الاعلى . وما اخرى الناس ولا سيما
الشرقيين منهم ان يقتسوا عن اسلوب آخر
خليل السكاكيني